الـمَجَازُ في الطَرَفِ
عِنْدَ الشِّهَابِ الخَفَاجِيِّ في حَاشِيَتِهِ على البَيْضَاوِيِّ
"دراسةٌ استقرائيَّةٌ تحليليَّةٌ"

د. وائل بن محمد بن علي جابر

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك

قسم الكتاب والسُّنَّة– كلية الدعوة وأصول الدين –جامعة أم القرى

من ١٣ إلى ٥٠

The Metaphor at one end of speech at Khafaji In his entourage (Enait ALqadi)

"Inductive and analytical study"

Dr. Wael Mohmmad Ali Jaber

Associate Professor of the Interpretation of the Holy Qur'an and its Sciences

Department of Quran & Sunnah College of Dawah 'Islamic call' & Fundamentals of Religion

Umm Al Qura University

الـــمَجَازُ في الطَرَفِ عِنْدَ الشِّهَابِ الخَفَاجِيِّ في حَاشِيَتِهِ على البَيْضَاوِيِّ"دراسةٌ استقرائيَّةٌ تحليليَّةٌ"

وائل بن محمد بن علي جابر

قسم الكتاب والسُّنَّة– كلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القرى– المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني:Wmjabir@uqu.edu.sa

ملخص البحث :

استهدف هذا البحث دراسة أسلوبٍ من أساليب البلاغة القرآنيـــة الجميلـــة، والذي يتعلَّقُ بإحدى الطُرُق الخطابيَّة المسْلُوكة في القرآن الكـــريم، بهـــدف: إضافة معانٍ جديدة لألفاظه، وإضفاء الجمال على ألفاظه ومعانيه، وإظهـــار معانيه البلاغيَّة البديعة، ومن ثم الوصول إلى إعجازه البياني الذي تحدَّى الله به الخلق جميعًا، وهذا هو أُسْلُوْبُ (المجَازُ في الطَرَفِ).

وسيتم تناول البحث من منظورٍ قرآنيّ يعتمدُ على دراسة أمثلةٍ منه، وجانبٍ تفسيريّ من خلال كتاب عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي للشَّهاب الخفاجي المعروف بتفنُّنِهِ في مسائل البلاغة. هذا مع التأصيل لهذه المسألة، وذكر أهميتها، وعلاقة العلوم الصِّناعية بها كأسلوبٍ تفسيري.

الكلمات المفتاحية: المجاز، الطرف، البلاغة القرآنيَّة، الشـــهاب الخفـــاجي، عناية القاضي.

The Metaphor At One End Of Speech At Khafaji In His Entourage

(Enait ALqadi) "Inductive And Analytical Atudy"

Wael Mohmmad Ali Jaber
Department Of Quran & Sunnah College Of Dawah 'Islamic Call' & Fundamentals Of Religion-Umm Al Qura University -Saudi Arabia.
Email: Wmjabir@uqu.edu.sa

Abstract:
This research aimed to study one of the beautiful Quranic rhetoric styles, which is related to one of the rhetorical methods used in the Holy Qur'an, With the aim of: adding new meanings to its expressions, adding beauty to its expressions and meanings, and showing its wonderful rhetorical meanings, and then reaching his eloquent miracle with which God challenged all creation, and this is the method (The Metaphor at one end of speech).
The research will be dealt with from a Quranic perspective based on studying examples from it, And an explanatory aspect through the book Inayat al-Qadi and Kifayat al-Radi on al-Baydawi's interpretation of al-Shihab al-Khafaji, known for his prowess in issues of rhetoric, This is with rooting for this issue, mentioning its importance, and the relationship of industrial sciences to it as an explanatory method.

Keywords: Metaphor; One End Of Speech; Quranic Rhetoric; Al-Shihab Al-Khafaji; Inayat Al-Qadi.

المقدِّمة

الحمد لله العليم الحكيم، والصَّلاةُ والسَّلام على النَّبيِّ الكريم الرحيم، محمد بن عبد الله وعلى آله الطاهرين وصحابته الميامين.

وبعدُ؛ فإنَّ الله تعالى بعث لكلِّ أمَّةٍ رسولًا منهم قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا ﴾ (النحل: ٣٦)، وأيَّدَ كلَّ رَسولٍ بآيةٍ ومعجزةٍ من نَفْسِ ما يَفْهَمُه ويَبْرَعُ فيه أولئكَ القوم، فقوم فرعون مثلًا كانوا متقنين لعِلْمِ السِّحْر فأرسلَ الله تعالى عليهم موسى عليه السَّلام بتسع آياتٍ كان منها: تحوُّل العصا إلى حيَّةٍ تسعى، فكان ذلك من جِنْسِ ما يعملون به ويُتقنونه؛ ولذلك حكى الله تعالى عن فرعون بأنَّه جمع السَّحَرَة لمبارزة موسى الحُجَّة في ميقات يوم مُحدَّد كما صَوَّرَتْهَا سُوَرُ الأعراف (آية ١٠٦ وما بعدها) وطه (آية ٥٦ وما بعدها) والشعراء (آية ٣٠ وما بعدها).

وكذلك أُمَّة العرب عندما أرسل الله تعالى عليهم مُحمَّدًا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأنزلَ عليه القرآن الكريم تأييدًا وآيةً من جنْس ما تعرفه العرب وتبرع فيه في كلامهم وشعرهم وبلاغتهم؛ ولذلك كَثُرَ وصفهم للنبيِّ وللقرآن الكريم بالشِّعر والشاعر والأساطير (انظر: سورة الأنبياء: ٥، وسورة الأنعام: ٢٥).

فنتجَ عن ذلك: وجودُ أنواعٍ من البلاغة التي يتبارز بها العرب في القرآن الكريم، وكان من تلك الأنواع: وجود ألفاظ الحقيقة والمجاز، وأكثرُ ما في القرآن الكريم هو مرادٌ لحقيقته التي وُضعت من أجله اللفظ، ويُوجد في القرآن الكريم ألفاظ جاءت في المعنى على غير ما يرادُ منها لوجود قرينةٍ تدلُّ على ذلك مع وجود علاقةٍ بين المعنيين؛ كلّ ذلك من باب التحدِّي والإعجاز.

ولذا؛ فقد أحببتُ الإسهام بالمشاركة في كتابة بحثٍ يتعلَّق ببلاغة القرآن الكريم عند أحد علماء التفسير كانت له بصمة واضحة فيه، واصطلاحٌ بلاغي اشتهر عنه وأكثر من ذِكْرِهِ وهو: المجازُ في الطَرَفِ، وقد وسمت البحث بـــ: المجاز في الطرف عند الشِّهاب الخفاجي في حاشيته على تفسير البيضاوي "دراسة استقرائية تحليلية"، والله أسأل العون والسداد.

أهمية الموضوع:

١. تعلُّق هذا الموضوع بدراسة أسلوبٍ من أساليب القرآن البلاغية؛ والتي من شأنها إظهار الإعجاز اللفظي للقرآن الكريم وإبرازه.
٢. دراسة أسلوب المجاز في الطَرَفِ ومفهومه.
٣. تحليل بعضٍ من الأمثلة القرآنية المتعلِّقة بأسلوب المجاز في الطرف من خلال حاشية الخفاجي على تفسير البيضاوي.
٤. إبراز دور الشهاب الخفاجي في هذا الأسلوب البلاغي القرآني.

أسباب اختيار الموضوع:

١. إبراز أسلوب من الأساليب القرآنية البلاغية (المجاز في الطرف)، وبيان مفهومه ومسائله.
٢. تعلُّق هذا الأسلوب بعلومٍ مختلفة (كالبلاغة واللغة والأصول)؛ ولكن أسّ أساسها: القرآن الكريم وما تفرَّع عنه (التفسير) مع مقارنته بالعلوم الأخرى.
٣. جمع ودراسة كثير من الأمثلة القرآنية في مكان واحد ودراستها من خلال حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي.
٤. إظهار براعة الشهاب الخفاجي اللغوية والبلاغية، عبر كتابته في هذا الأسلوب.

مشكلة البحث: وجود الحاجة العلمية الماسَّة لدراسة أساليب القرآن البلاغية، ومن ذلك: مصطلح المجاز في الطرف، ودراسة أثره في فهم المعنى من خلال حاشية الخفاجي على تفسير البيضاوي، ومن خلال ذلك نستطيع صياغة تساؤلات البحث على النحو الآتي:

١. هل اهتمَّ الخفاجي بمصطلح المجاز في الطرف في حاشيته على البيضاوي؟
٢. هل يوجد أمثلة لمصطلح المجاز في الطرف عند الخفاجي في حاشيته على البيضاوي؟
٣. هل لهذا الأسلوب القرآني أهمية في العلوم التي تُعدُّ من مظان وجود هذا الأسلوب كالبلاغة والأصول مع التفسير؟

أهداف البحث:

١. إبراز اهتمام الخفاجي بالأساليب البلاغية القرآنية في تفسيره عمومًا، وبالأخصّ المجاز في الطرف.
٢. جمعُ بعضٍ من الأمثلة تحت قسيمي المجاز في الطرف (المسند والمسند إليه) ودراستها من خلال حاشية الخفاجي.
٣. ذِكْرُ أهميَّة هذا الأسلوب القرآني، مع بيان ذلك في العلوم التي تحدثت عنه.

الدراسات السابقة:

لقد تحدَّثت كتبٌ وأبحاث كثيرةٌ عامَّة وخاصة عن حقيقة المجاز وأنواعه واختلاف العلماء في وقوعه من عدمه؛ ولكني بعد البحث في قواعد المعلومات وغيرها، لم أجد من اختَّصَّ هذا المصطلح (المجاز في الطرف) بالبحث والدراسة.

وفي العموم؛ فإن الفوارق بين هذا البحث وغيره تتَّضح من خلال أمرين اثنين:

أولهما: أنَّ الكتابة التي كتبت في المجاز (عند البلاغيين وغيرهم) هي كتابة عامة تتعلَّق بالتنظير له ولمسائله، بخلاف هذا البحث الذي يتعلَّق بمعنى أخصّ وأدَّق فيه وهو المجاز في الطرف، من باب التنظير لهذه المسألة.

الثاني: كون الكتابة ولبُّ الدراسة للأمثلة القرآنيَّة الواردة في حاشية الخفاجي على تفسير البيضاوي، فهو تطبيقٌ تفسيري على أحدِ أشهر المفسِّرين المتأخرين براعةً في اللغة والبلاغة وتفنُّنًا فيها، وقد شهد له أهل زمانه وعصره بذلك.

حدود البحث:

الدراسة التنظيرية لمصطلح المجاز في الطرف، والدراسة التطبيقية للأمثلة القرآنية المتعلِّقة بالمجاز في الطرف (في المسند والمسند إليه) من خلال حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي.

منهج البحث:

المنهج الذي استخدمته في البحث هو المنهج الاستقرائي التحليلي القائم على تفسير النصوص وتحليلها، والنقد للأقوال، والاستنباط من النصوص ومدلولاتها.

منهج الباحث وطريقته:

١. شرح الكلمات الغريبة والغامضة في البحث، وكذلك تعريف المصطلحات الواردة فيه.
٢. توثيق الآيات القرآنية بعزوها إلى سورها ورقم الآية في صلب البحث.

٣. تخريج الأحاديث الواردة في صُلبِ البحث، وأكتفي بذكر الصحيحين أو أحدهما، وإن لم أجده في أحدهما فمن كتب الحديث المسندة الأخرى مع ذكر المصحِّح.

٤. الرجوع والاطلاع على الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع.

خطة البحث:

المبحث الأول: (التعريف بالشهاب الخفاجي) وفيه: خمسة مطالب:

المطلب الأول: اسمه ونسبه وكنيته.

المطلب الثاني: ولادته ونشأته وطلبه للعِلْمِ.

المطلب الثالث: فضله وثناء العلماء عليه.

المطلب الرابع: مؤلفاته. المطلب الخامس: وفاته.

المبحث الثاني: (المجاز في الطرف في القرآن الكريم) وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريفه ومفهومه. المطلب الثاني: أهميَّته. المطلب الثالث: مظانّ وجود هذا الأسلوب من العُلوم الصِّناعية، المطلب الرابع: (العلاقة في المجاز في الطرف).

المبحث الثالث: (المجاز في الطرف عند الشهاب الخفاجي في حاشيته على البيضاوي) وفيه مطلبين:

المطلب الأول: المجاز في المسند. المطلب الثاني: المجاز في المسند إليه.

المبحث الأول: (التعريف بالشهاب الخفاجي)

المطلب الأول: اسمه ونسبه ولقبه.

هو الشيخ أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي (نسبةً إلى قبيلته خَفَاجة) المصري (نسبةً إلى بلده مصر التي وُلد فيها ومات) الحنفيّ (نسبةً إلى مذهبه الفقهي).

ويُلقب بلقبين: أولهما: شِهَابُ الدِّيْن، والثاني: قاضي القُضَاة، كما ذكر ذلك من ترجم له. (انظر ترجمته: الحموي ٣٣١/١، واللكنوي ١٣٢٤هـ، ٢٤٢، والكتاني ١٩٨٢م، ٣٧٧/١، والزركلي ٢٠٠٢م، ٢٣٨/١، ونويهض ١٤٠٩هـ، ٧٥/١)

المطلب الثاني: ولادته ونشأته وطلبه للعِلْمِ.

وُلد الإمام الشهاب الخفاجي في عام (٩٧٧هـ - ١٥٦٩م) في مصر، وتحديدًا في قرية صغيرة اسمها شَنَوان ويطلق عليها قديمًا شنوال (تقع شمال غرب القاهرة. انظر: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة، شنوان - ويكيبيدياwikipedia.org) إحدى قرى المنوفية؛ لأنَّه طلب العلم على يد خاله أبي بكر الشَّنَوَاني، ثم انتقل والده إلى قرية سِرْيَاقُوْس (تابعة لمحافظة القليوبية، وتقع شمال القاهرة. انظر: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة، سرياقوس - ويكيبيدياwikipedia.org).

ونشأ في بيتٍ عُرِفَ بالعِلْم والفضل، فوالده الشيخ محمد بن عمر الخفاجي (ت: ١٠١٩هـ) من العلماء والأدباء. (انظر ترجمته: الحموي ٣٣١/١، وفانديك ١٣١٣هـ، ٣٥١، ٣٦٦)

وكان أوَّلُ أمره في طلب العِلْمِ على يد والده، فتغذَّى منه غذاء الظاهر والباطن كما ذكر، ثم تعلَّم على يد سيبويه زمانه خاله أبي بكر بن إسماعيل الشنواني، ثم درس المعاني والمنطق والأدب، ثم أخذ الفروع عن الشمس

الرملي، وانتقل بعدها لطلب العلم في القاهرة، ثم الحجاز، ثم القسطنطينية (انظر: الخفاجي، ٣٢٧ وما بعدها).

قال عنه أبو سالم العياشي (انظر: الكتاني ١٩٨٢م، ٣٧٧/١، وفانديك ١٣١٣هـ، ٣٥١، ٣٦٦) أحد طلابه: "شيخنا هذا ممَّن اتَّسعتْ رحلته في أَقطارِ الأرضِ وبَعُدَ صِيْتُهُ"، فهذا إن دلَّ على شيءٍ دلَّ على كثرة طلبه للعلم، وسفره من أجل تحصيله.

المطلب الثالث: فضله وثناء العلماء عليه.

لقد اشتهر فضل الشيخ شهاب الدين الخفاجي في العِلْم، وأخذ يتقلَّد المناصب القضائية متسلِّقًا سُلَّم المجد؛ حتى غَدَا عَلَمًا وصَرْحًا يُشار إليه بالبَنَانِ.

قال عنه (المحبي الحموي، ٣٣١/١): "صَاحب التصانيف السائرة، وَأحد أَفْرَاد الدُّنْيَا الْمُجْتَمع على تفوقه وبراعته، وَكَانَ فِي عصره بدر سَمَاء الْعلم، ونير أفق النثر وَالنّظم، رَأس المؤلفين وَرَئِيس المصنفين، سَار ذكره سير الْمثل، وطلعت أخباره طلوع الشهب فِي الْفلك، وكل من رَأَيْنَاهُ أَو سمعنَا بِهِ مِمَّن أدْرك وقته معترفون لَهُ بالتفرُّد فِي التَّقْرِير والتحرير وَحسن الْإِنْشَاء، وَلَيْسَ فيهم من يلْحق شأوه، وَلَا يَدعِي ذَلِك مَعَ أَن فِي الْخلق من يدعى مَا لَيْسَ فِيهِ، وتآليفه كَثِيرَة ممتعة مَقْبُولَة وانتشرت فِي الْبِلَاد ورزق فِيهَا سَعَادَة عَظِيمَة فَإِن النَّاس اشتغلوا بهَا، وأشعاره ومنشآته مسلمة لَا مجَال للخدش فِيهَا، وَالْحَاصِل أَنه فاق كل من تقدَّمه فِي كل فَضِيلَة وأتعب من يَجِيء بعده، مَعَ مَا خوله الله تَعَالَى من السعَة وَكَثْرَة الْكتب ولطف الطَّبْع والنكتة النادرة".

وقال (ابن الحسني، ١٣٢٤هـ، ٤٢٠): "أحد الشهب السيارة، المقتحم من بحر الفضل لجَّه وتياره، فرع تهدل من ذواية خفاجه، وفرد سلك سبل

البيان ومهد فجاجه، أجرى من ينبوع الفضل ما أخجل بمصر نيلها وبالشام سيحانه، وأهدى لمشام أرباب الأدب من رياض أدبه أطيب ريحانه".

المطلب الرابع: مؤلفاته.

لقد مرَّ الشهاب الخفاجي بمراحل كثيرة تنقَّل فيها بين مُدُنٍ شتَّى؛ ولكنَّه استقرَّ في نهاية المطاف بمسقط رأسه (مصر)، وهذا ما أفاده في كثرة التأليف والكتابة، ولذلك تعدَّدت مؤلفاته في علوم شتَّى ممَّا يدلُّ على سِعة علمه وكثرة تفنُّنِه.

ولكن أكثر ما يُميِّزه: كتابته في اللغة والأدب والبلاغة والتفسير، ولعلي أذكر هنا بعضًا من أشهر كتبه اختصارًا (انظر: الزركلي ٢٠٠٢م، ٢٣٨/١):

١. "ريحانة الألِبَّا وزهرة الحياة الدنيا" تكلَّم فيه عن تراجم علماء القرن الحادي عشر الهجري، وطُبِعَ الكتاب عدَّة طبعات، منها: طبعة البابي الحلبي سنة ١٣٨٦هـ بتحقيق: محمد الحلو.
٢. "شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل والنادر الوحشي القليل"، في اللغة، وهو مطبوع بعدَّة طبعات، منها: طبعة المنيرية عام ١٩٥٢م.
٣. "طراز المجالس" وهو كتابٌ رتَّبه على خمسين مجلسًا في التفسير واللغة والأصول، وهو مطبوع في المطبعة الوهبية عام ١٢٨٤هـ.
٤. "نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض" وهو كتاب يشرح فيه "الشفا بتعريف حقوق المصطفى"، وقد طبع عدَّة طبعات، منها: طبعة دار الكتب العلمية ببيروت عام ١٤٢٢هـ.

٥. "عناية القاضي وكفاية الراضي"، كتاب في التفسير، حاشية على تفسير البيضاوي "أنوار التنزيل"، وهو مطبوع في دار صادر ببيروت. وهو الكتاب المعني بالدراسة.

المطلب الخامس: وفاته.

توفي رحمه الله يوم الثلثاء الموافق الثاني عشر من شهر رمضان لعام (١٠٦٩هـ)، وكان قد قرب من التسعين، ومات بمصر ودفن فيها، فرحم الله الإمام، وجزاه عن المسلمين خير الجزاء (انظر: الحموي ٣٤٢/١).

المبحث الثاني: (مفهوم المجاز في الطرف)

المطلب الأول: تعريفه ومفهومه.

لقد غدا عُرْفًا عِلميًا في كتابة الأبحاث بعد انقلاب العلوم صناعة أن يتمَّ تعريف ألفاظ المسألة المراد دراستها حتى تتبيَّن معالمه قبل معرفة مفهوم المجاز في الطرف كمركبٍ إضافيّ.

ولا يُحتاج هنا إلا لتعريف لفظ المجاز؛ لأنَّه هنا هو لبّ المسألة المرادة بالبحث والدراسة، وأمَّا الطرف فسيتَّضح معناه من خلال المفهوم، فيقال:

تعريف المجاز لغة واصطلاحًا:

المجاز في اللغة مفرد، وهو مصدرٌ ميمي على وزن مفعل مِن جاز يجوز جوزًا وجوازًا، وجاوزَ المكان أي: تعدَّاه. (انظر: ابن فارس ١٤١٨هـ، ١٤٩، والدسوقي، ٢٥٣/٣، ود. مختار وآخرون ١٤٢٩هـ، ٤٢١/١).

ويأتي على معنيين، أحدهما: القطع للشيء، والآخر: وسط الشيء. قال ابن فارس (١٣٩٩هـ، ٤٩٤/١): "الجيم والواو والزاء أصلان: أحدهما قطع الشيء، والآخر وسط الشيء. فأما الوسط فجَوْزُ كل شيءٍ وَسَطُهُ. والأصل الآخر جُزْتُ الموضعَ سِرْتُ فيه".

وأمَّا المجاز في الاصطلاحِ فقد نُقِلَ من أصله اللغوي إلى معنى اصطلاحي تعارف عليه أرباب البلاغة في كتبهم؛ مع وجود العلاقة بينهما في معنى الجواز والتعدية على الأصل الثاني من معناه لغةً كما سبق، ووجهه تعدية المعنى الحقيقي المألوف إلى غيره كاجتياز المكان.

ولذلك قال (الدسوقي، ٢٥٣/٣): "وحاصِلُه: أنَّ لفظ مجاز في الأَصل مصدر معناه الجواز والتعدية، ثم إنَّه نُقل في الاصطلاح من المصدرية إلى

الكلمة المستعملة في غير ما وُضعتْ له باعتبار أنَّها جائزة ومتعدِّية مكانها الأصلي".

قال (الجرجاني ،١٤٢٦هـ، ٣٥١، ٣٥٢) في تعريف المجاز: "وأمّا المجاز فكلُّ كلمة أريد بها غيرُ ما وقت له في وَضْع واضعها، لملاحظةٍ بين الثاني والأوّل، فهي مجاز وإن شئت قلت: كلُّ كلمة جُزْتَ بها ما وقعتْ به في وَضْع الواضع إلى ما لم توضع له، من غير أن تستأنف فيها وضعًا، لملاحظةٍ بين ما تُجُوّز بها إليه، وبين أصلها الذي وُضعتْ له فيوضع واضعها، فهي مجاز.

ومعنى الملاحظة هو أنها تستند في الجملة إلى غير هذا الذي تريده بها الآن، إلا أنّ هذا الاستنادَ يَقْوَى ويَضْعُف.

بَيَانُه ما مضى مِن أنّك إذا قُلْتَ: رأيتُ أسدًا، تُريد رجلًا شبيهًا بالأسد، لم يشتبه عليك الأمر في حاجة الثاني إلى الأوّل، إذْ لا يُتصَوَّر أن يقع الأسدُ للرجل على هذا المعنى الذي أردته على التشبيه على حدِّ المبالغة، وإيهامِ أنّ معنى من الأسد حصل فيه إلا بعد أن تجعل كونَهُ اسمًا للسَّبع إزاء عينيك، فهذا إسنادٌ تعلمه ضرورةً، ولو حاولتَ دَفْعَه عن وَهْمك حاولت مُحَالًا، فمتى عُقِل فرعٌ من غير أصل، ومشبَّهٌ من غير مشبَّه به؟".

ويُعرَّف المجاز عند المعاصرين كـ(عوني، ١٣٣/١ و٩٠/٥، ود. مختار وآخرون ١٤٢٩هـ، ٤٢١/١) بأنَّه: استعمال الشيء في غير موضعه الحقيقي مع وجود علاقة بين المعنيين الحقيقي والمراد، وقرينة تمنع المعنى الحقيقي.

والعلاقة: هي المناسبة الخاصة بين المعنى الأصلي الموضوع له اللفظ، والمعنى المقصود منه؛ ولابدَّ منها لصحة النقل من المعنى الأصلي إلى المعنى المراد. (عوني، ٩٠/٥)

مفهوم المجاز في الطرف:

نخلص إلى مفهومٍ مختصر للمجاز في الطرف بأنَّه: اللفظ المستعمل في غير معناه الحقيقي، لوجود علاقة بين المعنيين، مع وجود قرينة تمنع من المعنى الحقيقي، وتكون إما في المسند أو المسند إليه.

والمجاز في الطرف هو عين المجاز المرسل عند علماء البلاغة، فالمجاز ينقسم إلى قسمين: لغوي وعقلي، والمجاز اللغوي ينقسم إلى قسمين: مرسل واستعارة.

المطلب الثاني: أهميَّته.

تكمن أهميَّة هذا النوع من الأساليب في كونه من أساليب البلاغة القرآنية وكذلك العربيَّة، فمن خلاله تتجلَّى صور الإعجاز البياني الذي تحدَّى الله تعالى به الإنس والجن أن يأتوا بمثله أو ببعضٍ من آياته، كما قال تعالى ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣ – ٢٤].

وتظهر صور أهميته كذلك في المبالغة الكلاميَّة البديعة والتي يظهر أثرها في المعنى المقصود من الآية، كقول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا ﴾[سبأ: ٣٣].

فالـــمَكْرُ هنا لم يُقصد به مقارفتهم له بالليل والنهار (وإن قال به بعض المفسِّرين)؛ إنَّما المقصود: المبالغة في مكرهم، ودلَّ على ذلك التجوُّز، فالليل والنهار لا يَـــمْكُرَان، وإنَّما يقع فيهما المكر، والمقصود هنا: المبالغة في استخدام القوم للمَكْرِ في كافة الأزمنة.

قال (السَّمين الحلبي، ٥٢/١ بتصرُّف يسير): "وأمَّا قولُه تعالى: ﴿ مَكْرُ ٱلَّيْلِ ﴾ فهو التجوُّزُ في أَنْ جَعَلَ ليلَهم ونهارَهم ماكِرَيْنِ مبالغةً في كثرةِ وقوعِه منهم فيهما، فهو نظيرُ قولهم: نهارُه صائمٌ وليلُه قائم".

ويُضاف إلى ذلك: المعاني اللغوية الجديدة المضافة إلى حصيلة المعاني العربيَّة جرَّاء استعمال اللفظ في غير معناه الأصلي، مع وجود علاقة بين المعنيين غير المشابهة، وقرينة تمنع المعنى الأصلي.

إنَّ استخدام القرآن الكريم للمجاز له أثره في المعنى قوَّةً وتأثيرًا، وأثرٌ على الألفاظ إيجازًا واختصارًا، ومن هنا تظهر أهمية دراسة هذا الأسلوب البلاغي القرآني.

كما أنَّ تحرير معنى (المجاز في الطرف) يفيد في فهم استعمال أئمة التفسير المتأخرين له عند اطلاقهم لهذا المصطلح الخاص.

المطلب الثالث: مظانّ وجود هذا الأسلوب من العُلوم الصِّناعية.

اشتهر هذا المصطلح على يدِ جماعة من المفسِّرين المتأخرين، وهو يساوي المجاز اللغوي عند المتقدِّمين؛ ولذلك تُعتبر بعض كتب التفسير المتأخِّرة من مظان وجود هذا المصطلح.

وأوَّل من وجدته ذكر هذا المصطلح بمعناه من المفسِّرين المتأخرين: الإمام أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسَّمين الحلبي المتوفى سنة: ٧٥٦هـ في مثالٍ واحد من تفسيره الدُّرّ المصون حيث قال: " ومنهم مَنْ جعلها في هذا النحو على معنى «في» مستندًا إلى ظاهر قوله تعالى: ﴿ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ [سبأ: ٣٣]، قال: (المعنى مَكْرٌ في الليل، إذ الليل لا يُوصَف بالمكرِ، إنما يُوصَفُ به العقلاءُ، فالمكرُ واقعٌ فيه).

والمشهورُ أن الإِضافةَ: إمَّا على معنى اللام وإمَّا على معنى «مَنْ»، وكونها بمعنى «في» غيرُ صحيح. وأمَّا قولُه تعالى: ﴿ مَكْرُ ٱلَّيْلِ ﴾ فلا دَلالةَ فيه، لأن هذا من باب البلاغة، وهو التجوُّزُ في أَنْ جَعَلَ ليلَهم ونهارَهم ماكِرَيْنِ مبالغةً في كثرةِ وقوعِه منهم فيهما، فهو نظيرُ قولهم: نهارُه صائمٌ وليلُه قائم". (السمين، ٥٢/١)

ولكنَّ الشهاب الخفاجي يُعتبر أكثر من أطلق هذا المصطلح في حاشيته؛ حتى غدا مصطلحًا خاصًا به لم يُسبق إليه من قِبَل المفسِّرين، فقد ذكره في ثلاثة عشر مَوضعًا، ومن ثم تَبِعَهُ في ذلك الألوسي في تفسيره روح المعاني، وبعدهما القاسمي في محاسن التأويل.

والأصل في هذا الأسلوب – وإن ذكره بعض المفسِّرين – أنَّه يُبحثُ في علم البلاغة، حيث يبحثونه في أبواب علم البيان، ويندرج تحت المجاز اللغوي؛ لأنَّ المجاز إما لغوي أو عقلي، والمجاز اللغوي إما مرسل أو استعارة، والمجاز في الطرف هو المجاز المرسل.

وقد يذكر هذا الأسلوب البلاغي في علوم أخرى كأصول الفقه مثلا؛ ولكنها تبع لمسائل البلاغة.

ولذلك ذكره أئمة في أصول الفقه والبلاغة بهذا اللفظ (المجاز في الطرف) قبل الشهاب الخفاجي؛ ولكن من المتأخرين، أولهم: السعد التفتازاني (ت: ٧٩١هـ) في حاشيته على مختصر ابن الحاجب (٥٤٧/١)، وكذلك ابن حجر الهيثمي (ت: ٩٧٤هـ) في الفتاوى الفقهية الكبرى (١٠١/٢)، وكذلك الدسوقي (ت: ٧٩٢هـ) في حاشيته على مختصر المعاني للتفتازاني (٤٥٤/١)، وكذلك العطَّار بعد الشهاب (ت: ١٢٥٠هـ) في حاشيته على شرح الجلال المحلِّي على جمع الجوامع (٣١٦/١).

المطلب الرابع: (العلاقة في المجاز في الطرف).

من خلال تعريف المجاز الاصطلاحي، وكذلك مفهوم المجاز في الطرف؛ تبيَّن أنَّ هناك علاقة وقرينة:

أمَّا القرينة فهي المانعة من إرادة المعنى الحقيقي من خلال سياق اللفظ، وأمَّا العلاقة فتكون بين المعنى الأصلي الحقيقي للفظة وبين المعنى المستعمل في غير معناه الحقيقي، وهذه العلاقة لغير المشابهة.

وقد ذكر العلماء رحمهم الله أنواعًا كثيرة من هذه العلاقة بين المعنيين الحقيقي والجديد المستخدم في المجاز المفرد المرسل، ومن ذلك – أورد أهمها اختصارًا – (انظر: عوني، ١/١٣٤-١٣٩):

١. (علاقة السبَبِيَّة) ويُشير إلى ذكرِ سبب وقوع الشيء، والمراد منه المسبَّب الذي أدّى إلى وقوعه.
٢. (علاقة المسبّبِيَّة) ويُشير إلى ذكرِ المسبّب، والمراد منه ذكر السبب.
٣. (علاقة الجزئيَّة) وتُشير إلى ذكر الجزء، وتقصد منه الدلالة على الكلّ.
٤. (علاقة الكليَّة) وتُشير إلى ذكر الكلِّ، وتقصد منه الدلالة على الجزء.
٥. (علاقة ما كان) وهو أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور سابق الحصول على المعنى المراد.
٦. (علاقة ما سيكون) وهو أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور مستقبل الحصول.
٧. (علاقة الحاليَّة) أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور حالا في المعنى المراد.
٨. (علاقة المحليَّة) هي أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور محلا للمعنى المراد.

المبحث الثالث: (المجاز في الطرف عند الشهاب الخفاجي في حاشيته على البيضاوي)

من خلال استقراء حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي يتبيَّن أنَّه انفردَ عن المفسِّرين ممن كان قبله بذكر مصطلح المجاز في الطرف من خلال الأمثلة القرآنيَّة المذكورة في حاشيته.

وقد ذكر من هذه الأمثلة (١٣) مثالاً قرآنيًا بألفاظ: (المجاز في الطرف، مجازًا في الطرف، التَجَوُّز في الطرف)، منها تسعة أمثلة متعلِّقة بالمجاز في المسند، وأربعة أمثلة تتعلَّق بالمجاز في المسند إليه.

مع العلم بأنَّ هناك عدد أكبر من هذا العدد، ولكنَّه لا يتعلَّق بالأمثلة القرآنيَّة، إنَّما هو شرحٌ لألفاظ البيضاوي في تفسيره لا ألفاظ الآيات القرآنية ولذلك تم إخراجه من العدد هنا.

وبما أنَّ المجاز في الطرف يتعلَّق ذكر أمثلته إمَّا بالمسند أو المسند إليه؛ ذكرته من خلال مطلبين اثنين متتاليًا تِعْدَادًا:

المطلب الأول: المجاز في المسند.

المثال الأول: قال الشهاب الخفاجي: "والنُّزُول وإنْ اسْتُعْمِلَ في الأَجْسَامِ والأعراضِ لا يُوصف به إلا باعتبار محالها، والقرآن من الأعراض الغير القارّة فلا يُتصوّر إنزاله ولو بتبعيَّة المحل، فهو مجازٌ متعارف لوقوعه على مبلغه كما يُقال: نَزَلَ حُكْمُ الأميرِ من القَصْرِ، أو التَنْزيل مجازٌ عن إيحائِهِ من الأَعْلى رُتْبَةً إلى عبدِهِ تَدريجًا كالتَجَوُّزِ في الطَّرَفِ"(الخفاجي، ٣/١).

ويقصد الشهاب الخفاجي لفظ التنزيل في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان: ١]، فهنا لفظة نزَّل بالتشديد يُفيد معنى الإنزال المتكرِّر الذي يدلُّ على كثرة التفريق في نزول القرآن الكريم مُنجَّمًا (انظر: الرازي، ١٤٢٠هـ، ٤٢٩/٢٤، والخازن، ١٤١٥هـ، ٣٠٨/٣).

وأصل مادة "(ن ز ل) كلها ترجع إلى معنى: الهبوط من عَلٍ، والحُلول في أسفل" (ابن باديس، ١٤١٦هـ، ١٥٣).

والأصلُ أنَّها تُستخدمُ للأَجسامِ المحسوسة، ولكنَّ المقصود منه هنا المعنى المجازي وهو كون وقوع الوحي من المرتبة العليا إلى عبده محمدًا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تدريجًا.

فعبَّر بالتنزيل المستعمل في الأجسام وقصد به المتعلّق بالأعراض؛ لأنَّه لا ينزلُ – أي: الوحي – إلا مع جسْمٍ وهو النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم فهو محل النُّزول، فهو مجازٌ مرسلٌ علاقته المحليَّة، وقد وقع المجاز في كلمة ﴿نَزَّلَ﴾ وهو مُسْنَد.

المثال الثاني: في قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥].

قال الشهاب الخفاجي: "فسمى ذلك التزايد مددا، فهو عنده مجازٌ في الطرف فقط"(الخفاجي، ١/٣٥١).

ومن خلال استعراض كلامه السابق تبيَّن أنَّه يُعلِّق على كلام الإمام البيضاوي في ردِّه على الزمخشري والمعتزلة في مسألة (الـمَدِّ) الذي يأتي بمعنى الزيادة، أي: يزيدهم في غيِّهم لا في عمرهم.

ولذلك قال البيضاوي: "أُسْنِدَ ذلك إلى الله تعالى إسناد الفعل إلى المسبّب مجازًا، وأَضاف الطُغيان إليهم لئلا يُتوهَّم أنَّ إسنادَ الفعل إليه على الحقيقة" (البيضاوي، ١٤١٨هـ، ١/٤٨).

فحقيقة المدّ بالطغيان تكون من الشيطان الرجيم؛ ولكنه أسند ذلك إلى الله تعالى من باب إسناد الفعل إلى المسبب مجازًا.

فعَبَّرَ بالمدد وقصد به التزايد على سبيل المجاز المرسل وعلاقته السببيَّة؛ لأن التزايد سبب المدد. والمجاز وقع في كلمة ﴿وَيَمْدُدْكُمْ﴾ وهو مُسند.

المثال الثالث: في قوله تعالى ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يونس: ١].

قال الشهاب الخفاجي: "والمراد حكيم قائلها كما في الذكر الحكيم فهو مجاز في الطرف" (الخفاجي، ٦٦/٥)، وقد قال هذا الكلام في معرض حديثه تعليقًا على كلام الإمام البيضاوي الذي كان يذكر كلام الزمخشري في الكشَّاف حيث قال: "والْحَكِيمِ ذو الحكمة لاشتماله عليها ونطقه بها، أو وُصِفَ بصفةٍ مُحْدَثَة" (الزمخشري، ١٤٠٧هـ، ٣٢٦/٢). وتَبِعَهُ في هذا المعنى (الألوسي، ١٤١٥هـ، ٦٥/١١).

وقول الشِّهاب (حكيمٌ قائلها) أي: نَسَبَ الحِكمة إلى القرآن وقصدَ به قائِلَه، على سبيل المجاز المرسل وعلاقته المحليَّة، وقد وقع المجاز في كلمة ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ وهو مسندٌ.

قال ابن عاشور في التحرير والتنوير: "وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ وُصِفَ بِوَصْفِ مُنَزِّلِهِ الْمُتَكَلِّمِ بِهِ، كَمَا مَشَى عَلَيْهِ صَاحِبُ الْكَشَّافِ" (ابن عاشور، ١٩٨٤م، ٨٢/١١).

المثال الرابع: في قوله تعالى ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [النحل: ١٤].

قال الشهاب الخفاجي: "أو هو من المجاز في الطرف، فمعنى تلبسون: تتمتعون وتتلذَّذون على طريقة الاستعارة أو المجاز" (الخفاجي، ٣١٧/٥)، وتبعه في هذا المعنى (الألوسي، ١٤١٥هـ، ٣٥٦/٧).

وقوله (تَلْبَسُوْنَ: تتمتَّعُونَ و تتلذَّذُون) عبَّرَ باللِّبْسِ وقصدَ به اللَّذة الحاصلة من جراء اللبس، على سبيل المجاز المرسل وعلاقته السببيَّة؛ لأن اللِّبس سببُ اللَّذة، وقد وقع المجاز في كلمة ﴿تَلْبَسُونَهَا﴾ وهو مسند.

قال (الزمخشري، ١٤٠٧هـ، ٥٩٨/٢): "والمرادُ بِلُبْسِهِم: لُبْسُ نِسَائِهِم، لأنَّهنَّ من جُمْلَتِهِم، ولأنَّهنَّ إنَّما يَتَزيَّنَّ بها من أَجْلِهِم، فكأنَّها زينتهم ولباسهم". وبمثل قوله قال (الرازي، ١٤٢٠هـ، ١٨٨/٢٠)، و(البيضاوي، ١٤١٨هـ، ٢٢٢/٣)، (والنسفي، ١٤١٩هـ، ٢٠٦/٢).

المثال الخامس: في قوله تعالى ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٥].

قال الشهاب الخفاجي: "يعني أنّ حقيقة العُقْمِ عدم الولادة لمن هو من شأنِهِ، واليوم ليس كذلك، فجعلهُ عقيمًا مجازًا في الطرف" (الخفاجي، ٣٠٧/٦)، وتبعه في هذا المعنى (الألوسي، ١٤١٥هـ، ١٦٧/٩).

وقع المجاز في كلمة ﴿عَقِيمٍ﴾ وهو مسند، واليوم هنا ليس من صفاته العُقْم، والأصل في معنى العُقْم أن تُوصف به المرأة لا غير؛ لأنها هي من تَلِد وهذا الأمرُ من شأنها، فإذا وُصِفَ به غيرها كان ذلك مجازًا.

فعبَّرَ هنا عن اليوم – الذي هو يوم القيامة – بالعُقْمِ وقصدَ به عدم وجود الخير لهم في ذلك اليوم.

قال (الزجَّاج، ١٤٠٨هـ، ٤٣٤/٣): "أصل العُقم، العقم في الولادة، يقال: هَذِهِ امرأة عقيمٌ، كما قال اللَّه – عَزَّ وَجَلَّ –: ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذاريات: ٢٩].

والريح العقيم التي لا تأتي بسحاب يُمْطِر، وإنما تأتي بالعذاب، واليوم العقيم هُوَ الَّذي لا يَأتي فيه خيرٌ، فيوم القيامةِ عقيمٌ على الكفار".

وجاء عن مجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما: أنَّ اليوم هو يوم بَدْرٍ (انظر: الطبري، ١٤٢٢هـ، ٦١٧/١٦)، وعليه: فتكون صورة المجاز فيه أنَّه وصفَ يوم بَدْرٍ وما فيه من حَرْبٍ بالعُقم؛ لأنّ أولاد النساء يقتلون فيه، فيصرن كأنَّهنَّ عقم لم يلدن، أو لأنَّ المقاتلين يقال لهم أبناء الحرب، فإذا قتلوا وصف يوم الحرب بالعقيم على سبيل المجاز. (انظر: الزمخشري، ١٤٠٧هـ، ١٦٦/٣، وللاستزادة انظر: ابن الجوزي، ١٤٢٢هـ، ٢٤٦/٣)

المثال السادس: في قوله تعالى ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِ﴾[الزمر: ٥].

قال الشهاب الخفاجي: "ويكون معنى تكوير أحدهما على الآخر وستره له ستره لمكانه على أن فيه معنى التجوُّز في الطرف" (الخفاجي، ٣٢٦/٧)، وتبعه في هذا المعنى (الألوسي، ١٤١٥هـ، ٢٢٧/١٢).

وقع المجاز في هذا المثال في كلمة ﴿يُكَوِّرُ﴾ وهو مسند. فعبَّرَ بالتكوير الذي معناه اللفُّ والسَّتْر وقَصَدَ به جعلُ أحدهما مكان الآخر، على سبيل المجاز المرسل الذي علاقته السَبَبِيَّة؛ لأنَّ جعل أحدهما مكان الآخر هو سببُ السّتْرِ له.

قال (الزمخشري، ١٤٠٧هـ، ١١٢/٤): "كل واحدٍ منهما يُغيِّب الآخر إذا طرأ عليه، فشبّهَ في تغييبه إياه بشيء ظاهر لفَّ عليه ما غيَّبَهُ عن مَطَامِحِ الأَبْصَار".

المثال السابع: في قوله تعالى ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ [الزمر: ١٣].

قال الشهاب الخفاجي: "إشارة إلى أن وصف اليوم بالعظمة مجازٌ في الطرف". (الخفاجي، ٣٣١/٧)، وتبعه في هذا المعنى (الألوسي، ١٤١٥هـ، ٢٤٠/١٢)؛ وذكر أنَّه أبلغ من الإسناد، ولذا عَدَلَ عن توصيفِ العذابِ بذاك.

وصورة هذا المجاز أنَّ اليوم لا يُوصفُ ولا يكون عظيمًا أبدًا بمفرده إلاَّ بوصفِ ما فيه من وقائع؛ فأطلقَ العَظَمَةَ على اليومِ وقصدَ بها ما في ذلك اليوم الآخر من الأهوال والدواهي العظيمة، على سبيل المجاز المرسل وعلاقته المحليَّة؛ لأنَّها واقعة في ذلك اليوم. وقد وقع المجاز في كلمة ﴿عَظِيمٍ﴾.

قال (الطبري، ١٤٢٢هـ، ١٧٧/٩): "ووصفه تعالى بـ(العِظَمِ) لِعِظَمِ هَوْلِه، وفظاعة شأنه".

المثال الثامن: في قوله تعالى ﴿قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الزمر: ٥٠].

قال الشهاب الخفاجي: "أو التجوز في الطرف، فقالها بمعنى أشاعت فيهم". (الخفاجي، ٣٤٢/٧)، وتبعه في هذا المعنى (الألوسي، ١٤١٥هـ، ٢٦٨/١٢)؛ ولكنه ذكر بأنَّه مجازٌ عقلي: أولى.

وقد وقع المجاز في كلمة ﴿قَالَهَا﴾ وهو مسند. وصورة المجاز أنَّه عَبَّرَ بالقول وقَصَدَ به الإشاعة والانْتِشَارِ لأنَّه لا يلزم منه أن يقول المقول كل واحدٍ مِمَّن كان قبلهم؛ على سبيل المجاز المرسل وعلاقته السَّبَبِيَّة، لأنَّ القول هو سببُ انْتِشَارِ المقُوْلِ.

المثال التاسع: في قول فيه تعالى ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].

قال الشهاب الخفاجي: "أو أنزلنا بمعنى ابتدأنا، فهو مجازٌ في الطرف" (الخفاجي، ٨/ ٣٨٢). وتبعه في هذا المعنى (الألوسي، ١٤١٥هـ، ١١١/١٣).

وقد وقع المجاز في كلمتي ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ وهو مسند. وصورة المجاز أنَّه عَبَّرَ بالإنْزَالِ الذي يدلُّ على وقوعه دفعةً واحدةً وقصد به الابتداء في التَّنْزِيْل؛ على سبيل المجاز المرسل وعلاقته السَّبَبِيَّة.

نقل الطبري عن الشَّعبيّ أنَّه قال: "نَزَلَ أَوَّلُ القرآن في ليلة القدر". (الطبري، ١٤٢٢هـ، ٥٤٣/٢٤)

المطلب الثاني: المجاز في المسند إليه.

المثال العاشر: في قوله تعالى ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾[الكهف: ٩٨].

قال الشهاب الخفاجي: "ويجوز أن يكون الوعد بمعنى الموعود، وهو وقته أو وقوعه، فلا تقدير فيه، فيكون مجازًا في الطرف" (الخفاجي، ١٣٦/٦)، وتبعه في هذا المعنى (الألوسي، ١٤١٥هـ، ٣٦٣/٨).

قوله: (يكون الوعد بمعنى الموعود، وهو وقته أو وقوعه) عَبَّرَ بالوعدِ وقصدَ به وَقْتَهُ على سبيل المجاز المرسل، وعلاقته الزمانية. وقد وقع المجاز هنا في كلمة ﴿وَعْدُ﴾ وهو مُسندٌ إليه.

قال (البيضاوي، ١٤١٨هـ، ٢٩٤/٣): "وقتُ وَعْدِه بخروج يأجوج ومأجوج، أو بقيام الساعةِ بأنْ شَارَفَ يوم القيامة". وقال (السمين الحلبي، ٥٥١/٧): "الوَعْدُ هنا مصدرٌ بمعنى الموعود، أو على بابه".

وقال (الألوسي، ١٤١٥هـ، ٣٦٣/٨): "ويجوز أن يكون الوعد بمعنى الموعود وهو وقته أو وقوعه، فلا حذف ولا مجاز في الإسناد؛ بل هناك مجاز في الطرف، والمراد من وقت ذلك يوم القيامة، وقيل: وقت خروج يأجوج ومأجوج".

المثال الحادي عشر: في قوله تعالى ﴿وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ [مريم: ٦٦].

قال الشهاب الخفاجي: "وقيل: (أي أل) إنها للجنس، وهي حينئذٍ مجازٌ في الطرف، بأن أطلق جنس الإنسان وأُريد بعض أفرادِه". (الخفاجي، ١٧١/٦)، وتبعه في هذا المعنى (الألوسي، ١٤١٥هـ، ٤٣٣/٨).

وقد وقع المجاز في كلمة ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ وهو مسندٌ إليه. وعَبَّرَ بالإنسان وقَصَدَ به البعض منه وليس جميع أفراده؛ لأنَّ إنكار البعث لم يصدر من كل إنسان إنما من البعض، وكان ذلك على سبيل المجاز المرسل وعلاقته الجزئيَّة.

وعليه فالمقصود بالإنْسَان هنا: المكذِّب بيوم البعث. (انظر: ابن أبي زمنين، ١٤٢٣هـ، ١٠٢/٣) وقال (الزمخشري، ١٤٠٧هـ، ٣١/٣، وابن عطيَّة، ١٤٢٢هـ، ٢٥/٤): الْإِنْسانُ اسمٌ للجِنْسِ يُرادُ به الكافر.

وأضاف (البيضاوي، ١٤١٨هـ، ١٦/٤): بأنَّ المراد به "بعضهم المعهود وهم الكفرة أو أُبَي بن خَلَف فإنَّهُ أَخَذَ عِظَامًا بَالِيَة فَفَتَّهَا وقال: يَزْعُمُ محمدٌ أنَّا نُبْعَث بعد ما نَـمُوْت".

المثال الثاني عشر: في قوله تعالى ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾ [عبس: ٣٣].

قال شهاب الخفاجي: "هذا بناءً على أنَّ صخَّ بمعنى أصاخ أي: استمع، فجُعلت مستمعة مجازًا في الطرف" (الخفاجي، ٣٢٤/٨)، وتبعه في هذا المعنى (الألوسي، ١٤١٥هـ، ٢٥١/١٥).

والمجاز وقع في كلمة ﴿ٱلصَّآخَّةُ﴾ وهو مسندٌ إليه. وعبَّر بالصاخَّة عن اليوم وقَصَدَ به الناس الذين في ذلك اليوم يستمعون للنداء، على سبيل المجاز المرسل وعلاقته المحليَّة.

قال (الزمخشري، ١٤٠٧هـ، ٧٠٥/٤): "يُقالُ: صَخَّ لحديثه، مثل: أصاخ له، فوُصِفَتْ النفخة بالصَّاخَّة مجازًا، لأنّ النَّاس يصخون لها".

المثال الثالث عشر: في قوله تعالى ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً﴾ [الغاشية: ١١].

قال الشهاب الخفاجي: "أي: ذات لغوٍ، وهو على التجوُّز في الطرف" (الخفاجي، ٣٥٢/٨)، وتبعه في هذا المعنى (الألوسي، ١٤١٥هـ، ٣٢٧/١٥).

والمجاز وقع في كلمة ﴿لَغِيَةٌ﴾ وهو مسندٌ إليه. وعبَّرَ باللاغيَّة وقَصَدَ بها الكلمة اللغويَّة، على سبيل المجاز المرسل من باب إطلاق اسم الفاعل وإرادة اسم المفعول، فعلاقته الفاعليَّة.

وبهذا المثال يكون قد اختتمتُ أمثلة المجاز في الطرف المذكورة في حاشية الشِّهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي.

الخاتمة

في نهاية مطاف هذا البحث الذي يتعلَّق بالبلاغة القرآنيَّة، وبعد هذا التجوال في خِضَمِ البحث ودراسة مسائل (المجاز في الطرف) وأمثلته عند الشِّهاب الخفاجي في حاشيته؛ أذكر أهم نتائجه:

١. أنَّ مصطلح المجاز في الطرف اشتهر إطلاقه عند المتأخرين من البلاغيين والمفسِّرين والأصوليين، وتحديدًا في نهاية القرن الثامن الهجري وما بعده؛ كالسَّمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، وابن حجر الهيثمي (ت: ٩٧٤هـ)، والسَّعْد التفتازاني (٧٩١هـ)، والدسوقي (ت: ٧٩٢هـ)، والشَّهاب الخفاجي (ت: ١٠٦٩هـ)، والعطَّار (١٢٥٠هـ)، والألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، والقاسمي (ت: ١٣٣٢هـ).

٢. يُعتبر الشِّهاب الخفاجي أكثر من استخدم هذه اللفظة من المفسِّرين، فقد ذكر أمثلتها في (١٣) موضعًا في حاشيته على تفسير البيضاوي؛ وهذا إن دلَّ على شيءٍ دلَّ براعته وتفنُّنه في علوم البلاغة.

٣. أنَّ مصطلح المجاز في الطرف يُسَاوِي المجاز اللغوي المرسل عند المتقدِّمين.

٤. أنَّ تحرير معنى (المجاز في الطرف) يفيد في فهم استعمال أئمة التفسير المتأخرين له عند اطلاقهم لهذا المصطلح الخاص.

٥. أن لهذا الأسلوب فوائده من حيث: تحقُّق الإعجاز البياني في القرآن الكريم، وإضافة معانٍ جديدة غير مرادة في المعنى الأصلي ولكن لها علاقة، والمبالغة الكلاميَّة البديعة جرَّاء استخدام هذا المجاز اللغوي.

التوصيات:

١. **أوصي بالكتابة في المجاز في الطرف عند الألوسي في تفسيره، فقد أكثر من ذكره اتِّبَاعًا للشِّهاب الخفاجي؛ ولكنه توسَّع في شرح العبارات والتعليق على الآيات الكريمة.**

٢. **أوصي بالكتابة في البلاغة القرآنيَّة؛ كموضوع: الاستفهام في القرآن الكريم وتطبيقاته عند أحد المفسِّرين المكثرين من شرح أسلوبه في تفاسيرهم.**

٣. **وهناك عناوين على غرار التوصية السابقة، كأسلوب الاحتراس، وأسلوب التتميم، وأسلوب الإضراب الإبطالي، على أن يُؤخذ تطبيقًا عند أحد المفسِّرين المهتمين بشأنه شرحًا.**

فهرس المراجع والمصادر

١. القرآن الكريم.

٢. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، (١٤٢٢هـ)، زاد المسير في علم التفسير، الأولى، بيروت، دار الكتاب العربي.

٣. ابن باديس، عبد الحميد بن محمد، (١٤١٦هـ)، تفسير ابن باديس، الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية.

٤. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، (١٩٨٤م)، التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر.

٥. ابن عطية، عبد الحق بن غالب، (١٤٢٢هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، عبد السلام محمد.

٦. الألوسي، محمود بن عبد الله، (١٤١٥هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية.

٧. البيضاوي، عبد الله بن عمر، (١٤١٨هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، الأولى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، تحقيق: محمد المرعشلي.

٨. التفتازاني، مسعود بن عمر، (١٤٢٤هـ)، حاشية السَّعد التفتازاني على مختصر ابن الحاجب، الأولى، بيروت، دار الكتب العلميَّة، تحقيق: محمد حسن إسماعيل.

٩. الجرجاني، عبد القادر عبد الرحمن، (بدون)، أسرار البلاغة، القاهرة، مطبعة المدني، تعليق: محمود شاكر.

١٠. الحسني، علي بن أحمد، (١٣٢٤هـ)، سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، مصر، ط/محمد الخانجي.

١١. الحموي، محمد بن فضل الله، (بدون سنة نشر)، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، بيروت، ط/ دار صادر.
١٢. الخازن، علي بن محمد، (١٤١٥هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل، الأولى، بيروت، دار الكتب العلميَّة، تصحيح: محمد شاهين.
١٣. الخفاجي، أحمد بن محمد، (١٣٨٦هـ)، ريحانة الأَلِبَّا وزهرة الحياة الدنيا، الأولى، مصر، ط/ البابي الحلبي، تحقيق: محمد الحلو.
١٤. الدسوقي، محمد بن عرفة، (بدون)، حاشية الدسوقي على مختصر المعاني للسَّعد التفتازاني، بيروت، المكتبة العصريَّة، تَحقيق: عبد الحميد هنداوي.
١٥. الرازي، أحمد بن فارس، (١٣٩٩ه)، مقاييس اللغة، بيروت، ط/ دار الفكر، تحقيق: محمد عبد السلام هارون.
١٦. الرازي، محمد بن عمر، (١٤٢٠هـ)، مفاتيح الغيب، الثالثة، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
١٧. الزجَّاج، إبراهيم بن السري، (١٤٠٨هـ)، معاني القرآن وإعرابه، الأولى، بيروت، عالم الكتب، تحقيق: عبد الجليل شلبي.
١٨. الزِّرِكْلِي، خير الدين، (٢٠٠٢م)، الأعلام، الخامسة عشر، بيروت، ط/ دار العلم للملايين.
١٩. الزمخشري، محمود بن عمر، (١٤٠٧هـ)، الكشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل، الثالثة، بيروت، دار الكتاب العربي.
٢٠. السَّمين الحلبي، أحمد بن يوسف، (بدون)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، دمشق، دار القلم، تحقيق: أحمد الخراط.
٢١. الطبري، محمد بن جرير، (١٤٢٢هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الأولى، دار هجر للطباعة، تحقيق: عبد الله التركي وآخرون.

٢٢. العطَّار، حسن بن محمد، (بدون)، حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، بيروت، دار الكتب العلمية.
٢٣. عمر، أحمد مختار، (١٤٢٩هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة، الأولى، بيروت، ط/ عالم الكتب.
٢٤. عوني، حامد، (بدون)، المنهاج الواضح للبلاغة، القاهرة، ط/ المكتبة الأزهرية للتراث.
٢٥. فانديك، إدوارد كرنيليوس، (١٣١٣هـ)، اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، مصر، ط/ الهلال، تصحيح: محمد الببلاوي.
٢٦. القاسمي، محمد جمال، (١٤١٨هـ)، محاسن التأويل، الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية.
٢٧. الكتاني، محمد عبد الحي، (١٩٨٢م)، فهرس الفهارس، الأولى، بيروت، ط/ دار الغرب الإسلامي.
٢٨. اللكنوي، محمد عبد الحي، (١٣٢٤هـ)، الفوائد البهية في تراجم الحنفية، الأولى، مصر، ط/ دار السعادة.
٢٩. النَّسفي، عبد الله بن أحمد، (١٤١٩هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، الأولى، بيروت، دار الكلم الطيب.
٣٠. نويهض، عادل، (١٤٠٩هـ)، معجم المفسِّرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، الثالثة، بيروت، ط/ مؤسسة نويهض الثقافية.
٣١. الهيثمي، أحمد بن محمد، (بدون)، الفتاوى الكبرى الفقهية، مصر، مطبعة: عبد الحميد أحمد حنفي.
٣٢. ويكيبيديا الموسوعة الحرَّة.

Faharas Almarajie & Almasadir

1. .alquran alkarim.
2. .abn aljawzii , eabd alrahman bin ealiin , (1422 ha) , zad almasir fi eilm altafsir , al'uwlaa , bayrut , dar alkitaab alearabii.
3. .abn badis , eabd alhamid bin muhamad , (1416 ha) , tafsir aibn badis , al'uwlaa , bayrut , dar alkutub aleilmiati.
4. .abn eashur , muhamad altaahir bin muhamad , (1984 mi) , altahrir waltanwir , tunis , aldaar altuwnusiat lilnashri.
5. .abn eatiat , eabd alhaqi bin ghalib , (1422 ha) , almuharir alwajiz fi tafsir alkitab aleaziz , al'uwlaa , bayrut , dar alkutub aleilmiat , eabd alsalam muhamadu.
6. .al'alusi , mahmud bin eabd allah , (1415 ha) , ruh almaeani fi tafsir alquran aleazim walsabe almathani , al'uwlaa , bayrut , dar alkutub aleilmiati.
7. .albaydawi , eabd allah bin eumar , (1418 ha) , 'anwar altanzil wa'asrar altaawil , al'uwlaa , bayrut , dar 'iihya' alturath alearabii , tahqiqu: muhamad almareashali.
8. .altiftazani , maseud bn eumar , (1424 ha) , hashiat alsaed altaftazani ealaa mukhtasar aibn alhajib , al'uwlaa , bayrut , dar alkutub alelmyat , tahqiqu: muhamad hasan 'iismaeil.
9. .aljirjani , eabd alqadir eabd alrahman , (bdun) , 'asrar albalaghat , alqahirat , matbaeat almadanii , taeliqu: mahmud shakir.
10. . alhusni , eali bin 'ahmad , (1324 ha) , silafat aleasr fi mahasin alshueara' bikuli misr , misr , t / muhamad alkhanji.

11. alhamawi , muhamad bn fadl allh , (bidun sanatan nashara) , khulasat al'athar fi 'aeyan alqarn alhadi eashar , bayrut , t / dar sadir.
12. .alkhazin , eali bin muhamad , (1415 ha) , libab altaawil fi altanzil , al'uwlaa , bayrut , dar alkutub alelmytat , tashihu: muhamad shahin.
13. .alkhafaji , 'ahmad bin muhamad , (1386 ha) , rayhanat al'alibaa wazahrat alhayaat aldunya , al'uwlaa , misr , t / albabi alhalabiu , tahqiqu: muhamad alhulu.
14. .aldisuqi , muhamad bin earfat , (bdun) , hashiat aldasuqi ealaa mukhtasar almaeani llsaed altiftazani , bayrut , almaktabat alesryat , tahqyq: eabd alhamid handawi.
15. .alraazi , 'ahmad bin faris , (1399 ha) , maqayis allughat , bayrut , t / dar alfikr , tahqiqu: muhamad eabd alsalam harun.
16. .alraazi , muhamad bin eumar , (1420 ha) , mafatih alghib , althaalithat , bayrut , dar 'iihya' alturath alearabii.
17. .alzjaaj , 'iibrahim bin alsiri , (1408 ha) , maeani alquran wa'iierabuh , al'uwlaa , bayrut , ealam alkutub , tahqiqu: eabd aljalil shlbi.
18. .alzirikli , khayr aldiyn , (2002 ma) , al'aelam , alkhamisat eashar , bayrut , t / dar aleilm lilmalayini.
19. .alzumakhshari , mahmud bin eumar , (1407 ha) , alkshaaf ean haqayiq ghawamid altanzil althaalithat , bayrut , dar alkitaab alearabii.
20. .alsamyn alhalabiu , 'ahmad bin yusuf , (bdun) , aldur almasun fi eulum alkitaab almaknun , dimashq , dar alqalam , tahqiqu: 'ahmad alkharati.
21. .altabariu , muhamad bin jarir , (1422 ha) , jamie albayan ean tawil ay alquran , al'uwlaa , dar hajr liltibaeat , tahqiqu: eabd allah alturki wakhrun.

22. .aletaar , hasan bin muhamad , (bdun) , hashiat aleataar ealaa sharh aljalal almahaliyi ealaa jame aljawamie , bayrut , dar alkutub aleilmiati.
23. .eumar , 'ahmad mukhtar , (1429 ha) , muejam allughat alearabiat , li'awal marat , bayrut , t / ealam alkutub.
24. .eawni , hamid , (bdun) , alminhaj alwadih lilbalaghat , alqahirat , t / almaktabat al'azhariat liltarath.
25. .fandik , 'iidward kirnilius , (1313 ha) , aktifa' alqanawe bima hu tibaeat , misr , t / alhilal , tashihu: muhamad albiblawi.
26. .alqasimi , muhamad jamal , (1418 ha) , mahasin altaawil , al'uwlaa , bayrut , dar alkutub aleilmiati.
27. .alkataaniu , muhamad eabd alhayi , (1982 mi) , faharas alfaharis , al'uwlaa , bayrut , t / dar algharb al'iislamii.
28. .allaknawiu , muhamad eabd alhayi , (1324 ha) , alfawayid albahiat fi tarajim alhanafiat , al'uwlaa , misr , t / dar alsaeadati.
29. .alnasfy , eabd allah bin 'ahmad , (1419 ha) , madarik altanzil walhaqayiq altaawil , al'uwlaa , bayrut , dar alkalm altayib.
30. .nuayhad , eadil , (1409 ha) , muejam almfsiryn min sadr wahataa aleasr althaalith , bayrut , t / muasasat nuayhd althaqafiati.
31. .alhaythami , 'ahmad bin muhamad , (bdun) , alfatawaa alkubraa alfiqhiat , misr , matbaeatu: eabd alhamid 'ahmad hanafi.
32. . wikibidya almawsueat alhra.